قراءة الوحي بعيون استشراقية

■ أ.د/ عماد الدين إبراهيم عبد الرازق
كلية الآداب جامعة بني سويف

مقدمة

لما كان الوحي هو الأساس الأمل الذي تقوم عليه حقيقة النبوة والرسالة، وهو المنبع الأول لعامة الإخبارات الغيبية وشؤون العقيدة وأحكام التشريع، اهتم أعداء الإسلام بمعالجة موضوع الوحي وبذلوا جهداً فكريّاً كبيراً من أجل التلبيس علي حقيقته والخلط بينه وبين الإلهام وحديث النفس، وذلك لعلمهم أن موضوع الوحي هو منبع يقين المسلمين وإيمانهم بما جاء به النبي ﷺ من عند الله، فإنْ أُتيح لهم التشكيك في حقيقته أمكن دفعهم على الكفر بكل ما قد يتفرع عنه من عقائد وأحكام وأمكنهم أن يحملوهم على الاستجابة لفكرة أن كل ما دعا إليه النبيّ ﷺ من المبادئ والأحكام التشريعية ليس إلا من تفكيره الذاتي. ومن أجل تحقيق هذه الغاية، أخذ المستشرقون وأعوانهم يحاولون تأويل ظاهرة الوحي وإبعادها عما ترويه لنا السنة النبوية الشريفة والمصادر التاريخية، وراح كلٌّ منهم يسلك ما يروق لخياله من تصورات. ولقد ذهب المستشرقون مذاهبَ شتّى في تفسير الوحي الإلهي

المنارة للاستشارات
ww

المنـزل عـلى النبـي، ولكـن أجمعـوا عـلى إنـكاره وأتـوا بتفسـيرات وتعليـلات حاولـوا مـن خلالهـا تفسـير التصرفـات التـي تنتـاب الرسـول بأنهـا انفعـالاتٌ شـخصيةٌ مـن جانـب الرسـول. ومـن أمثلـة الافـتراءات عـلى الوحـي الإلهـي أن المفكـر الفرنـسي «**غوسـتاف لوبـون**» يـرى أن التصرفـات التـي تنتـاب الرسـول إبـان نـزول الوحـي عليـه مـا هـي إلا صرعٌ ينتابـه فيعتـد بـه احتقـانٌ فغثيـانٌ. أمـا «**مكسـيم رودنسـون**» فـيرى أن الوحـي الـذي ينـزل عـلي الرسـول مـا هـو إلا درجـةٌ مـن درجـات التصـوف التـي لم تصـل إلي الاتحـاد باللـه، لكنهـا تقـع بـين مرحلـة الزهـد والتأمـل والتعبـد وبـين مرحلـة الإتحـاد باللـه. ويجـب أن نشـير إلي حقيقـةٍ مهمـةٍ وهـي أن اسـتطلاع آراء المسـتشرقين في الوحـي المحمـدي يحددهـا النظـر إلى بدايـة الصلـة الثقافيـة بـين الـشرق والغـرب. إن دراسـة المسـتشرقين ومواقفهـم مـن الوحـي تأثـرت بالفـترة التـي رسـختها الدراسـات السـابقة مـن الطعـن في الإسـلام واختـلاق العيـوب للنبـي محمـد ﷺ. وحتـى يتحقـق لهـم هـذا الإنـكار للوحـي أصبحـوا يـرددون أن مـا جـاء بـه النبـي مـا هـو إلا إبـداعٌ ذاتيٌّ وإشراقٌ روحـيٌّ أو إنجـازٌ أدبيٌّ أو مـشروعٌ محمـديٌّ. وهنـاك تيـاران أساسـيّان للمسـتشرقين في تفسـير الوحـي:- تيـارٌ منصـفٌ أو المنصفـون، والتيـار الآخـر هـو تيـار المتعصبـين. فالمنصفـون انقسـموا إلى مسـلمين ومتعاطفـين مـع الإسـلام، والمتعصبـون انقسـموا إلي حاقديـن أعـداء، ومعتدلـين في تهذيـب الألفـاظ ولكـن يضمـرون الحقـد والمكـر. ومـع ذلـك فـكلُّ تفسـيرٍ مـن جانـب المسـتشرقين لظاهـرة الوحـي عنـد النبـيّ محمـد ﷺ كان مغايـراً لمـا يعتقـدون، فالتعنـت والتعصـب أديّـا بهـم إلي التفريـق بـين المتسـاويين، ولذلـك تضاربـت تفسـيراتهم لـه وذهبـت مذاهـب شـتّى. فمـن انسـاق وراء التعصـب انزلـق في مهـاوي الحقـد، ومـن تفهّـم روح الإسـلام وانجلـت لـه حقائقـه اتصـف بالنزاهـة، وخالـط نـور اليقـين شـغاف قلبـه فأعلـن إسـلامه. وبـين الفريقـين توزعـت مواقـفُ واتجاهـاتٌ شـتى إلا أن الغالبيـة العظمـي مـن المسـتشرقين أنكـروا الوحـي كـما أنكـروا النبـوة وأثـاروا الشـبهات حـول الحقائـق الإسـلامية.

المنارة للاستشارات
ww

أولاً: - مفهوم الوحي:

(أ)- الوحي في اللغة:

- الوحي اسم مصدر من أوحى التي مصدرها إيحاء. قال ابن منظور: الوحي هو إعلامٌ في خفاءٍ، ولذلك صار الإلهام يسمّى وحياً، والإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي وكل ما ألقيته إلي غيرك ليعلمه. يقال وحيت الكلام وأوحيت، ووحي وحياً وأوحي أيضاً كتب، والوحي المكتوب والكتاب.(1)

وقال «**الراغب الأصفهاني**» أصل الوحي الإشارة السريعة، ولِتضمّن السرعة: قيل أمر وحي وذلك يكون بالكلام علي سبيل الرمز والتعريض وقد يكون بصوتٍ مجردٍ عن التركيب، وبإشارةٍ ببعض الجوارح وبالكتابه ويقال للكلمة الإلهية التي تلقى إلي أنبيائه وحياً.(2)

أما «**محمد رشيد رضا**» فيرى أن المعنى اللغوي للوحي: هو الإعلام الخفي السريع لمن يوجه إليه بحيث يخفى عن غيره، ومنه الإلهام الغريزي كالوحي إلى النحل، والإلهام والخواطر بما يلقيه الله في روع الإنسان السليم الفطرة كالوحي إلى أم موسي، ومنه ضده وهو وسوسة الشيطان. ووحي الله إلي أنبيائه قد روي فيه المعنيان الأصليان لهذه المادة وهي الخفاء والسرعة.(3)

أيضاً من المعاني اللغوية للوحي هو احتمال أن يكون الوحي أسماً ومصدراً، فهو اسمٌ ومعناه الكتاب، ومصدرٌ وله معانٍ منها، الإرسال والإلهام والكتابة والإشارة والإفهام. وقد يطلق ويراد به اسم مفعولٍ منه أي الموحى وهو كلام الله المنزل على النبي.(4)

---

(1) ابن منظور: لسان العرب، بيروت، بدون تاريخ، 892/3 مادة وحي.
أُنظر أيضاً ابن القيم: مدراج الساكنين، دار الكتاب العربي،جـ1، صـ29.
(2) الراغب الحسين بن محمد الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، المطبعة الميمنية، صـ515.
(3) السيد محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي، مطبعة دار المنار، القاهرة، 1935،صـ44.
(4) الرازي: التفسير الكبير، جـ21، طـ2، طهران، صـ242.

المنارة للاستشارات
ww

الوحـي إذاً - إعـلام اللـه تعـالى مـن اصطفـاه مـن عبـاده كل مـا أراد اللـه إطلاعـه عليـه مـن ألـوان الهدايـة والعلـم ولكـن بطريقـةٍ خفيـةٍ، غـيرِ معتـادةٍ للبـشر، أيْ خارجـةٍ عـن طـوق البـشر. ولمـا كانـت صفـة الوحـي إلي نبينـا ﷺ توافـق صفـة الوحـي إلى مـن تقدّمـه مـن النبيـين ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ {الشـورى3} فـإن أسـاس الأدلـة في الوحـي هـو الـشرع، قرآنـاً وسـنةً. وقـد يبـدأ الوحـي بالرؤيـا المتناهيـة يراهـا العبـد المصطفـى ويوقـن أنهـا وحـيٌ مـن اللـه تعـالي، لأن رؤيـا الأنبيـاء ليسـت مـن أضغـاث الأحـلام التـي تترجـم بهـا النفـس عـن رغباتهـا المكبوتـة، فأفئدتهـم مُعَـدَّةٌ إعـداداً إلهيّـاً. وكانـت الرؤيـا الصالحـة أول مطالـع الوحـي إلي نبينـا محمـد ﷺ. أخـرج «**أبـو نعيـم**» عـن علقمـة بـن قيـس قـال «**إن أول مـا يـؤتى بـه الأنبيـاء في المنـام حتـى تهـدأ قلوبهـم، ثـم ينـزل الوحـي في اليقظـة**».[1]

إذاً الوحـي لغـةً هـو الإعـلام الخفـي السريـع مهـما اختلفـت أسـباب هـذا الإعـلام.

(ب)- الوحي في الإصلاح:

- لقد وردت عدة تعريفاتٍ اصطلاحيةٍ للوحي منها:

1- هـو أن يُعلـم اللـه سـبحانه وتعـالي مـن اصطفـاه مـن عبـاده كل مـا أراد إطلاعه عليـه مـن ألـوان الهدايـة والعلـم لكـن بطريقـةٍ سريعـةٍ وخفيـةٍ وغـيرِ معتـادةٍ للبشر.[2]

2- هـو مـا انزلـه اللـه عـلي أنبيائـه وعرفهـم بـه مـن أنبـاء الغيـب والشرائـع والحكـم ومنهـم مـن أعطـاه كتابـاً أي تشريعـاً يُكتـب، ومنهـم مـن لم يعلمـه[3]

3- إلقـاء اللـه الـكلام أو المعنـى في نفـس الرسـول بخفـاءٍ وسرعـةٍ. والموحـي هـو اللـه سـبحانه وتعـالى والجهـة الموحَـى إليهـا هـم الرسـل.[4]

وقـال الشـيخ «**محمـد عبـده**» رحمـه اللـه: قـد عرّفـوه شرعـاً: أنـه كلام اللـه

(1) العسقلاني: فتح الباري: جـ1379،1، صحيح مسلم بشرح النووي،جـ2، - دار الفكر بيروت، صـ23، صـ197.

(2) محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة دار الفكر، بيروت، ط1،د.ت، صـ56.

(3) محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي، صـ41.

(4) حسن ضياء الدين عنتر: نبوة محمد في القرآن، دار النصر، حلب، ط1، 1973، صـ165.

المنارة للاستشارات
ww

تعالي المنزل علي نبيٍّ من أنبيائه. وأما نحن (أي الشيخ «**محمد عبده**») فنعرّفه على شرعنا بأنه عرفانٌ يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من الله بواسطةٍ أو بغيرِ واسطةٍ. والأول بصوتٍ يتمثل يسمعه أو بغير صوتٍ، ويفرق بينه وبين الإلهام أنّه وجدانٌ تستيقنه النفس وتنساق إلى ما يطلب على غير شعورٍ منها من أين أتى، وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور.[1]

ثانياً: مراتب الوحي ووسائله:

لقد حددت الآية (51) من سورة (الشورى) ضروب تكليم الله تعالي لأنبيائه وإن كان هذا الأمر لا يُعرف كنهه وحقيقته.

قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ ولقد تضمنت الآية الكريمة ثلاث

مراتب للوحي:

المرتبة الأولي: وهي المراد بقوله: ﴿أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ وهو نفثٌ ينفث في قلبه فيكون إلهاماً. فقد جاء في صحيح «**ابن حبان**» عن رسول الله أنه قال: «**إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها**» وهي حالةُ فيضٍ إلهيٍّ يتعرض لها النبي حتى إذا ما فارقته كان قد وعى تماماً ما أُلهم به.[2]

المرتبة الثانية: وهي أن الذي يصل إليه الوحي لا بواسطة شخصٍ آخرَ ولكنه يسمع عين كلام الله. والسامع لا يبصر من يكلمه، وهو المقصود بقوله ﴿أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ كما حدث لموسى عليه السلام.[3]

﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ { النساء - 164}. والله سبحانه وتعالى فضّل بعض الرسل على جميعهم بالتكليم في اليقظة من وراء حجاب دون وساطة ملك، لكن بكلامٍ مسموعٍ بالآذان معلومٍ بالقلب زائدٍ على الوحي

(1) محمد عبده: رسالة التوحيد، مكتبة الجامعة الأزهرية، القاهرة، 1385، صـ57.

(2) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مطبعة دار الكتب المصرية، ط3، القاهرة، صـ5873.

(3) الرازي: التفسير الكبير، جـ27، صـ186.

المنارة للاستشارات
ww

المسموع من الملك عن الله تعالى. وهذا النوع ثابتٌ لموسى كما هو ثابتٌ لنبينا محمد ﷺ في ليلة الإسراء والمعراج. وسماع النبي من الله كما يقول «**الغزالي**» بخلق الله علماً ضروريّاً يدرك به الرسول أمورًا:

أولها: أن المتكلم هو الله، **وثانيها:** أن ما سمعه هو كلام الله، **وثالثها:** مراد الله من كلامه.[1]

المرتبة الثالثة: فهي تكون عن طريق الملك الذي يأتي النبي فينقل إليه كلام الله، أي «**وصل إليه الوحي**» بواسطة شخص آخرَ، وهو المراد بقوله تعالي ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ والمعني بالرسول ملك الوحي المعبر عنه بالروح الأمين وهو جبريل عليه السلام.[2]

بناء على ذلك نستنتج أن للوحي ثلاثة أنواعٍ، أي أن تكليم الله سبحانه وتعالي للبشر وقع على ثلاثة أنحاء:

الأول: بالإلقاء في القلب يقظةً أو مناماً، ويسمَّى وحياً، وهو الذي يشمل الإلهام والرؤيا.

الثاني: بإسماع الكلام الإلهي من غير أن يرى السامع من يكلمه كما حدث لموسى وكما كان للملائكة الذين كلمهم الله في قصة خلق أدم أي ﴿مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾.

الثالث: بإرسال الملك ترى صورته المعينة ويسمع كلامه، كجبريل عليه السلام فيوحي للنبي ما أمر الله أن يوحي به إليه وهو المعني بقوله ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾. ولقد عبر القرآن الكريم بالوحي عن وساوس الشيطان وتزيينه خواطر الشر للإنسان، فقال تعالي ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ {الأنعام - 112} وغيرها من الصور.[3]

(1) عبد اللطيف ألسبكي: الوحي إلى الرسول محمد، مطبوعات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ص 83، 84.

(2) دى بور: تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة د.عبد الهادي أبو ريدة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1357،صـ228.

(3) حسنين محمد مخلوف: صفوة البيان لمعاني القرآن، مطابع الكويت، جـ31ـ صـ619. أيضاً أنظر د.صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن: دار العلم للملايين، بيروت، 1974،صـ23.

المنارة للاستشارات
ww

يتضح من هذه الأنواع أن الوحي حدثٌ مفاجئٌ طرأ على النبي ﷺ دون أن يتوقعه أو يتطلع إليه، كما زعمه بعض المستشرقين، حيث فاجأه الملك في غار حراء، وأخذ يعتصره بقوةٍ حتى أجهده، فارتجف فؤاده، وخاف على نفسه، فانطلق إلى زوجه مرتاعاً، فلما سكنته سكن، ثم أخبرها الخبر وهو وجِلٌ، وأثناء نزول الوحي عليه كانت تعتريه أعراض إلزامية كاحمرار الوجه، وتتابع الأنفاس، وثقلٍ في الجسم، وتفصد العرق في اليوم الشديد البرد. ومع كل ذلك ما كان يستطيع أن يدفع ذلك عن نفسه، مما يؤكد أن الوحي أمرٌ خارجيٌّ، خلافاً لما يتشبثُ به كثير من المستشرقين، بأنه أمرٌ داخليٌّ.[1]

ثالثاً: صور الوحي:

إن من يتلو الآيات التي تصور رسول الله ويتفحص ما أنبأنا به أصحابه الذين شهدوا آثار الوحي لدى تنزله عليه ليدل أن رسول الله إنسانٌ ضعيفٌ بين يدي الله يستمد منه العون ويصدع بما يؤمر به، ويعترف بعجزه المطلق عن تبديل حرف من كتاب الله. فهو مأمورٌ طائعٌ لا يملك من أمر الوحي شيئاً بل للوحي سيطرةٌ وهيمنةٌ يرى من يبحث في هذا الموضوع آثارهما عليه إبان تنزيل الوحي. قال «**ابن سعد في طبقاته**»: نزل الملك على رسول الله ﷺ بغار حراء يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ورسول الله ابن أربعين وجبريل كان ينزل بالوحي. ووردت في السنة النبوية صور للوحي الإلهي أخبر عنها رسول الله منها:

1- الرؤيا الصادقة وكانت مبدأ وحيه e وكان لا يري رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.[2]

2- أنه عليه ﷺ كان يتمثل له الملك رجلاً فيخاطبه حتى يسمع ما يقول وكان يراه الصحابة أحياناً، مثل حديث الإحسان عندما سأل جبريل الرسول عن الإيمان والإحسان، وجاءه في صورة أحد الصحابة وهو «**دحيه بن خليفة الكلبي**».[3]

(1) محمود ماضي: الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده، دار الدعوي للطباعة والنشر والتوزيع، جـ1996،11،صـ35.

(2) ابن سعد: الطبقات ألكبري: دار بيروت للطباعة والنشر، طـ1، 1975، صـ190

(3) يحيي بن شرف النووي: صحيح مسلم بشرح النووي: صحيح مسلم بشرح النووي دار الفكر، بيروت، 1981، صـ198.

المنارة للاستشارات

3- أنه كان عليه الصلاة والسلام يأتيه الملك مثل صلصلة الجرس. فقد روى البخاري وغيره أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ أحياناً مثل صلصله الجرس وهو أشد علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال أو أحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول. وهذا واضح في حديث الإسراء والمعراج حيث كلم الله رسوله بلا واسطة ملَكٍ.

4- أن يرى الملك بصورته التي خلق عليها، فيبلغه بالوحي وهذا وقع له مرتين: قالت عائشة رضي الله عنها: لم يره في صورته إلا مرتين، مرة عند سدرة المنتهى ومرة في جياد له ستمائة جناح قد سد الأفق.[1]

رابعا:شبهات المستشرقين حول الوحي والرد عليها.

(أ)- منهجهم في البحث:

دأب كثير من المستشرقين في تحرير أبحاثهم عن الدراسات الإسلامية على ميزانٍ غريبٍ في ميدان البحث العلمي، يضعون في أذهانهم فكرةً معينةً ويسعون إلى تصيد الأدلة لإثباتها بحيث لا يهمهم صحة الدليل بمقدار ما يهمهم إمكان الاستفادة منه لدعم آرائهم الشخصية فيقومون بجمع المعلومات التي ليس لها علاقةٌ بالموضوع، ويبنون عليها نظريةً لا وجود إلّا في نفوسهم وأذهانهم، كما فعلوا في موضوع الوحي.[2]

يتصيد كل منهم حادثة فيبني عليها ويجودها ما أمكنه لتمكينها في النفوس مثل حادثة لقاء رسول الله لورقة بن نوفل، أو بحيرى أو الحداد الرومي، ويزعمون أنه أخذ منهم أو تتلمذ عليهم. كما يعتمدون على الوهم المجرد لتفسير الأمور، فقد فسروا ظاهرة الوحي بحديث النفس وإلهاماتها تارةً، وبالنوبات الانفعالية تارةً أخرى، وبالتنويم الذاتي أو التجربة الذهنية المرَضية كالصرع الهستيري.[3]

(1) إسماعيل بن محمد العجلوني ألجرامي: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما أشتهر من الأحاديث علي ألسنة الناس، مؤسسة الرسالة، بيروت، صـ125.

(2) أبو الحسن النووي: الإسلاميات بين كتاب المستشرقين والباحثين المسلمين، صـ16.

(3) عبد الرحمن حسن الميداني: أجنحة المكر الثلاثة، دار القلم، دمشق، ط7، صـ141.

المنارة للاستشارات
ww

وخلاصة موازين بحث المستشرقين حول الوحي:

1- تحكيم الهوى ونزعات العداء للإسلام والمسلمين، مع التعصب لما ينتمون إليه.

2- وضع الفكرة مقدماً ثم البحث عن أدلة تؤيدها مهما كانت ضعيفةً واهيةً.

3- تفسير النصوص والوقائع تفسيراتٍ خاصةً.

4- تصيد الشبهات والإكثار من الفرضيات والاعتماد على الضعيف والشاذ من الأقوال.[1]

(ب) مجمل أرائهم حول مفهوم الوحي:

(1)- اتهام الرسول ﷺ بالكذب وأنه افترى القرآن من عنده.

(2)- أن الوحي حالةٌ نفسيةٌ «**الوحي النفسي**» أي حديث النفس وإلهامها.

(3)- أنه الانفعال العاطفي: النوبات الانفعالية

(4)- أنه عبارة عن التجربة الذهنية.

(5)- أنه من إملاءات الكهنة والمنجمين.

(6)- أنه حالةٌ مَرَضيةٌ كالصرع الهيستري.

(7)- الوحي عبارةٌ عن الإشراق الذي تم فيه تحويل الأفكار بأكملها من شخصٍ لآخر.[2]

(جـ) أهدافهم من إنكار الوحي:

(ا)- الإيحاء بأن الإسلام ليس من عند الله، بل هو من أفكار النبيّ ﷺ التي تشبعت بالأفكار اليهودية والنصرانية.

(2)- محو الشخصية الإسلامية.

(3)- محاولة إيجاد جذورٍ للنصوص الدينية الإسلامية من النصوص النصرانية واليهودية.

(1) المرجع السابق: صـ145.

(2) د.محمود ماضي: الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده، صـ45.

المنارة للاستشارات

ww

(4)- التشكيك في النصوص وصحتها واستعمال الخلافات الفكرية أداةً للتشكيك.[1]

(د) تصنيف آراء المستشرقين حول الوحي:

تعددت وتنوعت آراء المستشرقين حول الوحي، واختلفت نظرتهم حوله، فالذين يتشبثون بالماديات لا يرون إمكان الوحي، وبعض من يؤمن بوجود الله يبحث له عن مصادر استقى منها كلُّ نبيٍّ معلوماته، ويرجعونها إلى تاريخ الأمم التي اتصل بها كلُّ نبيٍّ، والبعض الآخر يثبته للأنبياء السابقين وينفيه عن نبينا e، والهدف الأساسي من كل هذا هو إبطال الوحي ونفي الرسالة عن الرسول بدعوى تكذيب الرسول، والادعاء بأنه افترى القرآن من عنده.[2]

(هـ) بعض الأمثلة من افتراءات المستشرقين:

أول نموذجٍ هو قول بعض المستشرقين مثل «**جولد زيهر**» وغيره أن محمدًا ﷺ اتصل ب«**بحيرى**» الراهب فأملى عليه معلوماتٍ، ثم لما رجع إلى مكة تبناها وزعم أنها من عند الله، والرد عليه: أن لقاءه ذاك كان محدوداً وبحضور زعماء قريش وكان عمر النبي ﷺ اثني عشر عاماً، فطبيعة اللقاء تنفي أن يكون قد حصل تعلُّمٌ لمحمد ﷺ من بحيرى، لأنه لقاءٌ قصيرٌ عابرٌ لا يكفي للدرس والتحصيل، وسن النبي حينذاك صغيرةٌ لا تؤهله للتلقي، ولا توجد روايةٌ تذكر ذلك التعليم، ثم أن اللقاء حضره عددٌ من رجال القافلة، فلم يذكروا شيئاً من ذلك، وقد كانوا أحرص الناس على إحباطها بعد إعلانها وهل يعقل أن «**بحيرى**» كلم هذا الطفل بهذا الدين المتكامل الذي تعجز البشرية جمعاء أن تأتي بمثله.[3]

النموذج الثاني من شبهات المستشرقين حول الوحي هو قول نفرٍ من المستشرقين أمثال «**درمنغام**» و«**مونتغمري واط**» وغيرها أن النبي تلقى ذلك الوحي عن طريق التعلم من ورقة بن نوفل. والرد على ذلك أنه لم

(1) هدي عبد الكريم مري: الأدلة على صدق النبوة المحمدية ورد الشبهات عنها، دار الفرقان، عمان، ط41، صـ451.
(2) المرجع السابق: صـ455.
(3) هدي مرعي: الأدلة علي صدق النبوة المحمدية، صـ471.

المنارة للاستشارات
ww

يثبت تاريخيّاً أن ورقة كان يدعو إلى النصرانية، وأن جميع الروايات الصحيحة أكدت عدم اتصال الرسول بورقة إلا بعد مجيء الوحي إليه. كما يزعم «**دبل**» و«**واط**» بأن الوحي عبارةٌ عن تجربةٍ ذهنيةٍ فكريةٍ أدرك منهاء ما أدرك نتيجة قدرته على التركيز على مستوًى تجريديٍّ لا يطيقه غيره، فكان يختار ساعات الليل لصفائها.[1] كما أن هناك بعض المستشرقين أمثال «**نولدكه**» فسروا ظاهرة الوحي بأنها حالة صرعٍ كانت تصيب محمد، فيغيب عن الناس وعمن حوله، ويظل ملقًى بين الجبال لمدةٍ طويلةٍ يسمع له غطيطٌ كغطيط النائم. وكذلك يقول المستشرق «**أليوث سيرتجز**» عن حياة محمد وتعاليمه أن محمد كان مصاباً بالصرع والهستيريا معاً.[2]

أيضاً يري «**غوستاف فيل**» في كتابه عن محمد ﷺ أن ما كان ينتاب محمد ما يشبه الحمى، وما كان يسمعه من صوت كصلصلة الجرس ليس وحياً، وإنما هو نوباتُ صرعٍ واضطراباتٌ عصبيةٌ.[3] ومن أخطر الافتراءات من جانب المستشرقين هو وصف الوحي بالظواهر النفسية وهو ما يسمي «**الوحي النفسي**» والسؤال هنا كيف صوروا الوحي النفسي؟ ومن أين استنبطوا ذلك التصور؟ قالوا أنهم استنبطوه من تاريخ محمد ﷺ وحالته النفسية والعقلية، وحالة قومه ووطنه، وما تصوروا أنه استفادة من أسفاره وخلواته وتحدثه وتفكيره، من كل ذلك نبع الوحي النفسي. وبيان ذلك: أنهم يقولون أن عقل محمد الهيولاني «**العقل الباطن**» قد أدرك بنوره الذاتي بطلان ما كان عليه قومه من عبادة الأصنام، وأن فطرته الذكية قد احتقرت ما كان يتناقشون فيه من جمع الأموال بالربا والقمار فتجلى له هذا الاعتقاد في الرؤى المنامية، ثم قوي حتى صار يتمثل له الملك يلقنه الوحي في اليقظة.[4]

كما انتهى بعض المستشرقين وزعيمهم في الوقت المعاصر «**واط**» إلى القول بأن الوحي كان نوعًا من التعبير الخيالي ولكنه مصحوبٌ بدون شكٍّ

(1) محمود ماضي: الوحي القرآني، صـ391.
(2) أحمد غراب: رؤية إسلامية للاستشراق، المنتدى الإسلامي، لندن، طـ1، 1411هـ صـ38.
(3) ريتشارد بل مونتغمري واط: مدخل إلى القرآن، جامعة أدنبره، 1977، صـ17.
(4) محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي، صـ149 - 150.

المنارة للاستشارات

برؤيـة عقليـة أو خياليـة لجبريـل. وبنـاءً عـلى ذلـك يـرون أن الوحـي القـرآني ليـس شـيئاً خارقـاً عـن الـذات المحمديـة وإنمـا منهـا نبـعٌ، لقـد وصـل المكـر بهـذا المسـتشرق وإلى الاعتـماد عـلى القـرآن ليلقـي بهـذه الفريـة ولكـن هيهـات. فاللقـاء بـيِّنٌ واضـحٌ والتلقـي كان يتـم بـين ذاتـين:

ذات النبـي «**المتلقـي**» وذات جبريـل الملقـي بأمـر اللـه، فهـما ذاتـان منفصلتـان تمـام الانفصـال وآيـات القـرآن ووقائـع السـيرة النبويـة تؤكـدان عـلى هـذه الحقيقـة، فالموحـى بـه مـن خـارج ذات محمـد فضـلاً عـن أنـه لم ينسـب مـا جـاء بـه لنفسـه وإنمـا أعلـن أنـه مـن خـارج ذاتـه.[1] كـما أن هنـاك بعـض المسـتشرقين أمثـال «**أهرنـس**» وآرثـر، ونيوهفـن، يـرون أن مصـدر الوحـي عنـد محمـد هـو اللاوعـي الجماعـي، أي أن موضوعـات الوحـي كانـت موجـودةً في اللاوعـي عنـد محمـد وهـي مسـتقاةٌ مـن المحيـط الجماعـي الـذي عاش فيـه قبل البعثـة، ومـا كان الملـك جبريـل إلا خيـالاً أدى إلى حضور تلـك الموضوعات إلى وعيـه في الحالـة التـي يسـميها الوحـي. ومـن المسـتشرقين الذيـن أغلـق فكرهـم التعصـب والحقـد «**فيليـب إيرلنجـي**» الـذي يقـول [أكـثر محمـد اتصالـه باليهـود في مكـة وأنـه كان يسـأل خادمـة زيـد وهـو مملـوك للمسـيحيين عـن الديانتـين اليهوديـة والمسـيحية ليأخـذ منهـا، وكان حاذقـاً فطنـاً أحـدَّ ذكاءً، وأدقَّ فهـماً مـن خادمـه - ولقـد كان محمـد في المدينـة تلميـذاً لليهـود وهـم الذيـن كونـوه، ثـم بـدأ جبريـل يمـده ببعـض الأسـاطير التـي يعرضهـا اليهـود والمسـيحيون.[2]

ورغـم هـذا التعصـب الأعمـى مـن جانـب بعـض المسـتشرقين حـول ظاهـرة الوحـي إلا أننـا نجـد بعـض المنصفـين الذيـن دافعـوا عـن محمـد ﷺ وعـن الوحـي.

مـن هـؤلاء المسـتشرقين المنصفـين «**إدوارد مونتيـه**» حيـث يقـول كان محمـد نبيّـاً صادقـاً، كـما كان أنبيـاء بنـي إسرائيـل في القديـم، كان مثلهـم يـؤتى رؤيـا ويوحـى إليـه.[3]

(1) هنري دى فاشري: الإسلام: خواطر وسوائح، ترجمة.أحمد فتحي زغلول، مطبعة الشعب، القاهرة، 1911،صـ16-17.
(2) مصطفي السباعي: الاستشراق والمستشرقين ما لهم وما عليهم، دار البافا، الكويت، 1986، صـ20.
(3) الشيباني: الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة، صـ117.

المنارة للاستشارات
ww

الخاتمة

مـن كل مـا سـبق يتضـح لنـا أن ظاهـرة الوحـي هـي ظاهـرةٌ حقيقيـةٌ لا هـراء فيهـا، ولا أحـد يسـتطيع أن يشـك فيهـا، إلا الحاقديـن والمتعصبـين مـن المسـتشرقين الذيـن مـلأ الحقـد قلوبهـم. فهـي ظاهـرة ثبـت يقينهـا بالقـرآن وبالسـنة، وليسـت ظاهـرةً نفسـيةً تنتـاب النبـيّ محمـد ﷺ.

والسـبب الأسـاسي لطعـن هـؤلاء في ظاهـرة الوحـي هـو مـا يمثلـه الوحـي مـن كونـه منبـع يقـين المسـلمين وإيمانهـم بمـا جـاء بـه النبـي ﷺ مـن عنـد اللـه مـن أحـكام وشرائـعَ وعقائـدَ. ولقـد ثبـت بالدليـل العقـلي قبـل الدليـل الشرعـي كـذب هـؤلاء في افترائهـم حـول ظاهـرة الوحـي، وأن تفسـيراتهم هـي تفسـيراتٌ حاقـدةٌ متعصبـةٌ ينقصهـا الموضوعيـة ويعتريهـا العـوار الفكـري والعقـلي. ولـو نظـر هـؤلاء نظـرةً موضوعيـةً لأدركـوا أن هـذه الظاهـرة أي ظاهـرة الوحـي هـي مـن عنـد اللـه، ومـا كان رسـول اللـه يسـتطيع أن يـأتي بهـا مـن نفسـه، وأنهـا ليسـت انفعـالاتٍ عصبيـةً أو خيـالاتٍ فكريـةً مـن عنـد رسـول اللـه. وإن الـكلام الموحـى بـه مـن عنـد اللـه والـذي نـزل بـه جبريـل لا يسـتطيع بـشرٌ مهـما كان أن يـأتي بـه، وأن يضـع فيـه هـذا الإعجـاز الـذي تحـدى بـه فصحـاء وبلغـاء العـرب، ولم يسـتطيعوا أن يأتـوا بآيـةٍ واحـدةٍ مثـل مـا أتى بـه القـرآن، رغـم فصاحتهـم وبلاغتهـم.

كل هـذا يثبـت بوضـوح حقيقـة الوحـي، وأنـه مـن عنـد اللـه لا مـن عنـد رسـول اللـه، وهـو أمـر أثبتـه الدليـل العقـلي والفعـلي.

المنارة للاستشارات
ww

مراجع البحث

1. ابن منظور: لسان العرب، بيروت، بدون تاريخ، 892/3 مادة وحي.
   انظر أيضاً ابن القيم: مدراج الساكنين، دار الكتاب العربي،جـ1، صـ29.
2. الراغب الحسين بن محمد الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، المطبعة الميمنية، صـ515.
3. السيد محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي، مطبعة دار المنار، القاهرة، 1935،صـ44.
4. الرازي: التفسير الكبير، جـ21، طـ2، طهران، صـ242.
5. العسقلاني: فتح الباري: جـ1379،1، صحيح مسلم بشرح النووي،جـ2، - دار الفكر بيروت، صـ23، صـ197.
6. محمد عبد العظيم الزرقانى: مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة دار الفكر، بيروت، طـ21،د.ت، صـ56.
7. محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي، صـ41.
8. حسن ضياء الدين عنتر: نبوة محمد في القرآن، دار النصر، حلب، طـ1، 1973، صـ165.
9. محمد عبده: رسالة التوحيد، مكتبة الجامعة الأزهرية، القاهرة، 1385، صـ57.
10. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مطبعة دار الكتب المصرية، طـ3، القاهرة، صـ5873.
11. الرازي: التفسير الكبير، جـ27، صـ186.
12. عبد اللطيف السبكي: الوحي إلى الرسول محمد، مطبوعات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، صـ83، 84.
13. دى بور: تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة د.عبد الهادي أبو ريدة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1357،صـ228.
14. حسنين محمد مخلوف: صفوة البيان لمعاني القرآن، مطابع الكويت، جـ31ـ صـ619. أيضاً انظر د. صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن: دار العلم للملايين، بيروت، 1974،صـ23.
15. محمود ماضي: الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده، دار الدعوي للطباعة والنشر والتوزيع، جـ1996،11،صـ35.
16. ابن سعد: الطبقات الكبرى: دار بيروت للطباعة والنشر، طـ1، 1975، صـ190
17. يحيي بن شرف النووي: صحيح مسلم بشرح النووي: صحيح مسلم بشرح

المنارة للاستشارات
ww

النووي دار الفكر، بيروت، 1981، صـ198.
18. إسماعيل بن محمد العجلوني الجرامي:كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، مؤسسة الرسالة، بيروت، صـ125.
19. أبو الحسن النووي: الإسلاميات بين كتاب المستشرقين والباحثين المسلمين، صـ16.
20. عبد الرحمن حسن الميداني: أجنحة المكر الثلاثة، دار القلم، دمشق، طـ7، صـ141.
21. المرجع السابق: صـ145.
22. د. محمود ماضي: الوحي القرآني في المنظور الاستشراقى ونقده، صـ45.
23. هدى عبد الكريم مري: الأدلة على صدق النبوة المحمدية ورد الشبهات عنها، دار الفرقان، عمان، طـ41، صـ451.
24. المرجع السابق: صـ455.
25. هدي مرعي: الأدلة علي صدق النبوة المحمدية، صـ471.
26. محمود ماضي: الوحي القرآني، صـ391.
27. أحمد غراب: رؤية إسلامية للاستشراق، المنتدى الإسلامي، لندن، طـ1، 1411هـ، صـ38.
28. ريتشارد بل مونتغمري واط: مدخل إلي القرآن، جامعة أدنبره، 1977، صـ17.
29. محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي، صـ149 - 150.
30. هنري دى فاشري: الإسلام: خواطر وسوائح، ترجمة.أحمد فتحي زغلول، مطبعة الشعب، القاهرة، 1911،صـ16-17.
31. مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقين ما لهم وما عليهم، دار البافا، الكويت، 1986، صـ20.
32. الشيباني: الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة، ص117. اهتمام المستشرقين بترجمة حِكم الإمام علي بن أبي طالب المتعلقة بالثقافة وطلب العلم إلى اللغات الأوربية منذ القرن السابع عشر حتى بداية القرن العشرين

المنارة للاستشارات
ww